مختبر الأبحاث حول الموارد، الحركية والجاذبية
Laboratoire des Études sur les Ressources, Mobilité et Attractivité - LERMA

MARRAKECH
جامعة القاضي عياض
كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش
Faculté des Lettres et Sciences Humaines - Marrakech

# التاريخ والديناميات الاجتماعية

## متنوعات مهداة إلى الأستاذ حسن حافظي علوي

تنسيق :
محمد رابطة الدين ومحمد الأكلع

الجزء الأول

2024

التاريخ والديناميات الاجتماعية
متنوعات مهداة إلى الأستاذ حسن حافظي علوي
تنسيق :
محمد رابطة الدين ومحمد الأكلع
الجزء الأول
2024

مختبر الأبحاث حول الموارد، الحركية والجاذبية
Laboratoire des Études sur les Ressources, Mobilité et Attractivité - LERMA

MARRAKECH
كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش
Faculté des Lettres et Sciences Humaines - Marrakech

# Histoire et dynamiques sociales

## Mélanges en l'honneur du professeur Hassan HAFIDI ALAOUI

Coordination :
Mohamed RABITATEDDINE et Mohamed ELAKLAA

Tome 1

2024

مختبر الأبحاث حول الموارد، الحركية والجاذبية
Laboratoire des Etudes sur les Ressources,
Mobilité et Attractivité - **LERMA**

MARRAKECH
جامعة القاضي عياض
UNIVERSITÉ CADI AYYAD
كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵜ ⵏ ⵜⵓⵔⵣⵉ ⴷ ⵜⵙⴰⵡⴰⵍⵉⵏ ⵜⵉⵏⵙⵓⵖⵉⵏ - ⵎⵕⵕⴰⴽⵛ
Faculté des Lettres et Sciences Humaines - Marrakech

# التاريخ والديناميات الاجتماعية

## متنوعات مهداة إلى الأستاذ حسن حافظي علوي

تنسيق :
محمد رابطة الدين ومحمد الأكلع

## الجزء الأول

2024

محفوظة جميع الحقوق
©Copyright

# الـتـاريـخ والـديناميات الاجتماعيـة

متنوعـات مهداة إلى الأستاذ حسن حافظي علـوي

**تنسيـــــــــق :**محمد رابطة الدين ومحمد الأكلع

**مـنـشـــــورات :** مختبر الأبحاث حول الموارد، الحركية والجاذبية (LERMA)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة القاضي عياض، مراكش.

**الإيداع القانوني : 2024MO0741**

**ردمـــــــــــك : 978-9920-8894-0-7**

**الطبـعـة الأولى :** 2024

**الطباعة والإخراج الفني :** دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط

دار أبي رقراق للطباعة والنشر
*10* شارع العلويين رقم *3*، حسان – الرباط
الهاتف : *83 75 20 37 05* - الفاكس : *89 75 20 37 05*
*E-mail : editionsbouregreg2015@gmail.com*

ولـد حـسـن حـافـظي علـوي بزاوية أوفوس بإقليم الرشيدية في 24 رجب 1381 هـ/01 يناير 1962م، وتابع دراسته الثانوية بثانوية غريس بگلميمة، ثم التحق بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس حيث ناقش دبلوم الدراسات العليا سنة 1989. وفي سنة 2005 حصل على دكتوراه الدولة من جامعة محمد الخامس بالرباط. وتتمحور أبحاثه حول التاريخ الاقتصادي والاجتماعي بالعالم الإسلامي في « العصر الوسيط »، وتاريخ الأفكار والتقنيات وتاريخ المؤسسات السياسية والاجتماعية.

# الفهـــــرس


كلمة السيد عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية ..... 9

كلمة السيد رئيس مختبر الأبحاث حول الموارد، الحركية والجاذبية (LERMA)..... 11

تقديم عام..... 13
محمد رابطة الدين ومحمد الأكلع

التعريف بالأستاذ حسن حافظي علوي: مسار باحث حصيف..... 23
البيضاوية بلكامل

الفاعل المسؤول: قراءة في بعض أعمال مجموعة البحث في تاريخ المجال والإنسان بتانسيفت..... 33
محمد الأكلع

**المحور الأول: إسهام الأستاذ حسن حافظي علوي في الدراسات الصحراوية**

المقاربة المصدرية عند الأستاذ حسن حافظي علوي تجليات الامتداد ومسارات الإمداد... 51
محمد البركة

إعمال التعريفات لتجلية الفروق بين الصحراء والواحات: إسهام في دراسة حيوية المجال المعاشي بالمغرب الوسيط ..... 83
سعيد بنحمادة

فقه البادية والتاريخ في مؤلفات الأستاذ حسن حافظي علوي..... 121
أحمد الصديقي

**المحور الثاني: التاريخ والرواية**

ما بين الرواية التاريخية والتاريخ من اتصال وانفصال ..... 133
حسن أوريد

**المحور الثالث: مصادر جديدة**

نصوص تاريخية يمنية عن سلاطين الدولة العلوية مقتبسة من كتاب درر نحور الحور العين بسيرة المنصور علي وأعلام دولته الميامين للطف الله جحاف الصنعاني (ت 1243هـ/1827م)..... 141
عبد السلام محمد أحمد الصباري

أنظار في اختصار كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للشريف الإدريسي ..... 181
الوافي نوحي

## المحور الرابع: المذاهب الإسلامية في فجر الإسلام

العبد والمولى في حركات الشيعة من الظهور إلى حركة المختار (38-67هـ/658-687م..... 195
عبد الحميد الفهري
المخاض المذهبي بالمغرب الإسلامي إبان عصري الولاة المشارقة والإمارات المحلية المستقلة..... 213
عبد الهادي البياض

## المحور الخامس : نظرات في التاريخ المرابطي

أثر الحضارة الأندلسية في حضارة الغرب المسيحي زمن المرابطين ..... 269
فائزة البوكيلي
الدولة المرابطية المشروع الوحدوي والسياسة الفكرية: مراجعات نقدية ..... 281
أحمد الخاطب

## المحور السادس: التصوف والقيم الإنسانية

التصوّف والمجتمع بإفريقيّة والمغرب بين القرنين السّادس والتّاسع للهجرة/الثّانـي عشر والخامس عشر للميلاد ..... 331
محمد حسن
الصلات الصوفية والعلمية بين الزاويتين العياشية والقشاشية : التصوف الحاتمي والفلسفي وغريب المسائل..... 359
عبـد الله نجـمـي
في تاريخية مفهوم الكرامة..... 411
محمد موهوب

## المحور السابع: التاريخ وصناعة الذاكرة

تقديس الشخص في الثقافة التركية: من جينكزخان إلى أردوغان ..... 439
عبد الرحيم بنحادة
الثمثلات الخمسة لشخصية الأمير عبد القادر أو تاريخ جينيالوجيا البطولة والرمز ..... 469
الجيلالي العدناني

# فقه البادية والتاريخ
# في مؤلفات الأستاذ حسن حافظي علوي

**أحمد الصديقي**(*)

تروم هذه الورقة تتبع مستويات استغلال فقه البادية في الكتابة التاريخية من قبل أحد رواد الجيل الثاني من المدرسة التاريخية المغربية، والكشف عن أدواره الإبستيمية في حلحلة العديد من قضايا البادية، وتسويد بياضاتها، لاسيما ضمن مشروع علمي ممتد في الزمن، وقائم على النبش في نتوءات ومقعرات الواحة، ومجالاتها الهشة والمعزولة، وما تتميز به من قساوة في الظروف الطبيعية والمناخية. فالواحات تتسم بالتغير الدائم وعدم الاستقرار، وهو ما يبرر حزمة المصادر المتعددة والمتنوعة التي استغلها الأستاذ حسن حافظي علوي في مختلف مؤلفاته عن المجال المذكور، وفق منظور تجديدي شمل المنهج والمواضيع، مع اعتماد أساليب غير مألوفة وجرأة غير مسبوقة، استدعت فضولنا لمقاربة ثنائية فقه البادية والتاريخ في هذه المؤلفات.

وبما أن الموضوع متعدد الزوايا ومتنوع المنافذ، وليس من السهل أن نحيط بكل حيثياته في هذا المقام، فإننا نروم من اختيارنا هذا؛ تقديم فكرة عن أهمية الاشتغال على التراث الحضاري بمناطق البادية وخاصة الواحات بالبلدان المغاربية بشكل عام، ومنطقة سجلماسة بشكل خاص، التي خاض غمارها المحتفى به باقتدار كبير، من خلال خزانة علمية متنوعة المناهل، كان من أهمها المتن النوازلي.(1) فكيف تم تطويع هذا المتن في بناء موضوع تاريخي حول البادية/الواحة؟

---

(*) كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بنمسيك، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء.

(1) حسن حافظي علوي، **واحات بلاد المغرب من القرن 4هـ/ 10م إلى القرن 8هـ/ 14م**، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ بجامعة محمد الخامس ج. 1 (الرباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1425-1426/ 2004-2005م)، 37-43؛ حسن حافظي علوي، **دراسات صحراوية الماء والإبل والتجارة** (الرباط: دار أبي رقراق للتجارة والنشر، 2014)، 19-45. كما نذكر ضمن هذه التيمة العملَ الرائد الذي قدمه العربي مزين مقتصرا في دراسته على مجال تافيلالت، بينما يتسع فضاء اشتغال المحتفى به إلى واحات بلدان المغارب بما فيها سجلماسة. ينظر: Larbi Mezzine, *Le Tafilalt: contribution à l'historié du Maroc aux XVII et XVIII siècles*, (Casablanca :Imprimerie Najah El Jadida, 1987).

- **نوازل البادية[1] والتاريخ؛ مستويات التمايز والتكامل**

غير خفي أن منظور التاريخ الحدثي/الظرفي قد استند إلى الاستوغرافية التاريخية والسرديات الإخبارية التي اختزلت تاريخ المجتمع والدولة في شخص الحاكم، وظل هذا التصور طاغيا في بناء الحدث التاريخي، يعيد إنتاج تلك الكتابات الإخبارية بقالب معاصر، ويرهن التحولات العامة إلى القرارات ذات الخلفية السياسية والعسكرية، والتي أينعت عددا مهما من البحوث والدراسات منذ بداية الاستقلال.[2] إلا أن انفتاح المؤرخ على موارد أخرى ذات معرفة تاريخية، وبمنهجية تتسق مع نتائج العلوم الرديفة غَيّر من تلك النظرة، وحوّل بوصلة الاهتمام إلى تاريخ الهوامش، وإلى قضايا الناس اليومية، بالاعتماد على مناهل متعددة من المصادر الأدبية مثل كتب الجغرافيا والرحلات وكتب الفقه والنوازل والحسبة والتراجم والمناقب وغيرها. وتحولت كل هذه المصادر إلى مناجم للمعرفة التاريخية، ومكنت من توفير مادة دسمة لقراءة تاريخ البوادي بنظرة متعددة الأبعاد، تتوافق مع إيقاع تغير البنيات، وبُطء تحولات الزمن الطويل،[3] لتسمح بالموازنة بين مستويات التأثير في بناء الوقائع بين العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية وغيرها.

وإذا كان المتن النوازلي أهم الأجناس الفقهية الغنية بموارد التاريخ، بما يتيحه من مادة دسمة تغري الباحث وتمكنه من الغوص في دراسة قضايا المجتمع،[4] وبما يوفره من إمكانية ملإ البياضات الثاوية في أعماق المسكوت عنه في المصادر الإخبارية،[5] فإنه يكشف عن الدينامية الفكرية للمجتمع، ويعكس حياة الناس المعيشية، لاسيما في المناطق النائية والبعيدة عن المركز، مثلما هو الحال في الواحات، حيث تندر الموارد والمعارف وتقل المصادر والأخبار، وتزداد أهمية هذا المتن في أخذ أهل المغرب عامة بمذهب الإمام مالك الذي لا يأبه بالفتاوى المتوقعة، ويقوم على الفتاوى النازلة التي تعكس مشاكل الناس وقضاياهم، وما يتصل بهموم المجتمع في العمق.

---

(1) حافظي علوي، **واحات**، ج1، 37.

(2) ينظر أحمد الصديقي، «المؤرخون المغاربة وتحقيق المخطوط،» ضمن **دورية كان التاريخية**، السنة 11، العدد 41 (ذو الحجة 1429هـ/ سبتمبر 2018م)، 127-129. (ص:126-137)

(3) إبراهيم القادري بوتشيش، **المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي إشكالات نظرية وتطبيقية في التاريخ المنظور إليه من أسفل** (القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، 2014)، 43-46.

(4) أحمد الصديقي، «الفقه والسياسة في نوازل ابن هلال السجلماسي، الفتوى بين السياق التاريخي والوعي السياسي،» ضمن **الفقه والتاريخ بسجلماسة مباحث في تفاعلات المعاش والاقتصاد والثقافة من خلال فتاوى ابن هلال السجلماسي** (الرباط: منشورات الزمن، سلسلة شرفات، العدد 65، أكتوبر 2015)، 92.

(5) محمد البركة، «النوازل بين الفقه والتاريخ محددات منهجية ومعالم معرفية،» ضمن **الفقه والتاريخ بسجلماسة مباحث في تفاعلات المعاش والاقتصاد والثقافة من خلال فتاوى ابن هلال السجلماسي**(الرباط: منشورات الزمن، سلسلة شرفات، العدد 65، أكتوبر 2015)، 27.

ولم تكن رحلة المحتفى به مع الموارد الفقهية النوازلية بدعة مستحدثة، فقد بدأ انكباب البحث التاريخي على مضمون النوازل الفقهية وتوظيفها في الكتابة التاريخية منذ عقد الستينيات من القرن الماضي مع ثلة من المؤرخين المغاربة المنتمين للجيل الأول من أمثال محمد حجي في مصنفه حول: **الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي**،[1] وكتابه **نظرات في النوازل الفقهية**.[2] وفي السياق نفسه اهتم محمد المنوني بنوازل الونشريسي من خلال تأكيده على أهمية مضمونها العلمي،[3] واعتمد إبراهيم حركات في أبحاثه حول «تطور الأوضاع الاقتصادية في العهد السعدي،» على عدد من الموارد الفقهية كنوازل ابن هلال والسكتاني والمغيلي والونشريسي؛[4] وهي المصادر التي اعتُمد عليها في أعمال أخرى كدراسة عمر بنميرة لتاريخ البادية بالمغرب الوسيط استنادا إلى نوازل الونشريسي.[5] وتوالت الأبحاث في هذا الباب كالدراسة حول المجتمع بالغرب الإسلامي من خلال النوازل الفقهية،[6] واختص بعضها في المجال الواحي مثل كتاب **الفقه والتاريخ بسجلماسة مباحث في تفاعلات المعاش والاقتصاد والثقافة**، الذي تم الاعتماد فيه على نوازل إبراهيم بن هلال السجلماسي،[7] وحظي بتقديم عبارة عن شهادة من قبل المحتفى به في هذا الكتاب. ويعد العربي مزين أكثر الباحثين المغاربة استعمالا لفقه النوازل بالواحة، حيث استفاد من معطياتها لفهم بنية المجتمع الفيلالي، وقد أرخ في مقالة حول حصيلة استعمال النوازل في الكتابة التاريخية لأهم المحطات في اشتغال الباحثين المغاربة على المتن الفقهي، مع توسيع النظر في بعض الأعمال

(1) محمد حجي، **الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي** (الرباط: المطبعة الوطنية، 1384هـ/1964م)، 14-15.

(2) محمد حجي، **نظرات في النوازل الفقهية** (الرباط: منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، 1420هـ/1999م)، 113-126.

(3) محمد مزين، «حصيلة استعمال كتب النوازل الفقهية في الكتابة التاريخية المغربية،» ضمن أعمال ندوة **البحث في تاريخ المغرب حصيلة وتقويم** (الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1989)، 76.

(4) إبراهيم حركات، **السياسة والمجتمع في العصر السعدي** (الدار البيضاء. دار النشر الحديثة، 1987)، 204.

(5) عمر بنميرة، **النوازل والمجتمع مساهمة في دراسة تاريخ البادية بالمغرب الوسيط** (الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2012).

(6) محمد فتحة، **النوازل الفقهية والمجتمع، أبحاث في تاريخ الغرب الإسلام، (من القرن 6 إلى9هـ/12-15م)** (الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1999).

(7) محمد البركة وآخرون، **الفقه والتاريخ بسجلماسة مباحث في تفاعلات المعاش والاقتصاد والثقافة من خلال فتاوى ابن هلال السجلماسي** (الرباط: منشورات الزمن، سلسلة شرفات، العدد 65، أكتوبر 2015). تميز هذا الكتاب بالتقديم الرائع الذي أعده له المحتفى به الدكتور حسن حافظي علوي والشهادة التي أبداها حول مضامينه وتقييمه لحصيلته، مما زاده قيمة على قيمته وأكد جدته وأصالته في الآن نفسه.

المنجزة في تحقيقها،[1] بالإضافة إلى دراسات مهمة في هذا الموضوع ضمن أعمال ندوة «التاريخ وأدب النوازل» التي نظمتها الجمعية المغربية للبحث التاريخي.[2]

وقد أسهمت مختلف هذه الجهود العلمية الجادة التي اشتغلت على فقه النوازل في انفتاح البحث التاريخي بالمغرب على قضايا التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والذهني، وفتحت آفاقا رحبة في الدراسات التاريخية حول مواضيع الهامش والمهمش، ومقاربة ثنائية المركز والهامش، وذلك وفق رؤى جديدة ومناهج متنوعة تندرج في سياق التأثر بمناهج مدرسة الحوليات، وتحول البحث التاريخي نحو قضايا المجتمع بمختلف أبعادها، مما زاد من قيمته وطبعه بطابع الجدة.

- **نوازل البادية من منظور المؤرخ**

يعد الاشتغال على البادية والمجتمع الواحي من بين أهم القضايا التي اشتغل عليها الأستاذ حسن حافظي علوي، حيث أبرز أهمية هذه المجالات في الاقتصاد الوطني وكشف عن غناها الحضاري، وعزز مكانتها في الدراسات والأبحاث التاريخية، بغية زحزحتها من دائرة العزلة التنموية التي تطوقها اليوم، ولفت الانتباه إلى إسهامها التاريخي الفاعل في الماضي التليد للبلدان المغاربية.

وغير خفي أن الواحات المغاربية تعاني كغيرها من المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية من صعوبة وقساوة الوسط الطبيعي الناجم عن الظروف المناخية السائدة، إذ لا يمثل النطاق الصالح للزراعة بها سوى نسبة ضئيلة من مجموع الأراضي، ولا يتجاوز أشرطة منتثرة داخل فضاء صحراوي شاسع، فيما يتسع مجال الرعي ليحكم نمط عيش السكان القائم على الندرة والقلة، ومحدودية الإنتاج، خصوصا مع توالي السنوات العجاف وتفشي الأوبئة. وهو ما كان يتسبب في خلخلة العلاقات بين الرّحل والمستقرين، ويسهم في ضعف الاستقرار البشري بهاته المناطق.[3]

وفضلا عن ذلك، فقد انعكس الواقع السوسيو اقتصادي بالواحات على الحياة الاجتماعية، حيث انتظمت علاقات السكان وفق عدد من الأعراف والأوفاق، وتميزت ثقافتهم بالبحث

(1) مزين، «حصيلة،» 11.

(2) **التاريخ وأدب النوازل: دراسات مهداة للفقيد محمد زنيبر**، إعداد الجمعية المغربية للبحث التاريخي، تنسيق محمد المنصور ومحمد المغراوي (الرباط: منشورات كلية والعلوم الإنسانية بالرباط، 1995).

(3) بن محمد قسطاني، **الواحات المغربية قبل الاستعمار، غريس نموذجا** (الرباط: منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، 2005)، 138.

المستمر عن الطرق المثلى للاستغلال وابتكار أشكال من التعاون والوسائل المتجددة في التنظيم والإعداد، من أجل التحكم في تعبئة الموارد والثروات المائية والترابية والنباتية والمحافظة عليها وترشيد استغلالها من جهة، وضبط العلاقات بين مكونات المجتمع الحضري ومحيطه القبلي من جهة ثانية، وذلك وفق مرجعية مؤسساتية تسهر على ضبط التوازنات الاجتماعية والإنتاجية، وتعبر في الوقت ذاته عن أعلى مستويات الوعي والحذر من خلال طابعين أساسين: الأول روحي رمزي والثاني عملي نفعي،[1] لتدبير المشترك وضمان السير العادي في كافة مناحي الحياة. وقد تطلب هذا الأمر وجود سلطة فعلية تستمد شرعيتها من قوة السلاح، وتباشر سيطرتها على كل القطاعات بما فيها التجارة الصحراوية البعيدة المدى، وما يرتبط بها من تنظيم للأسواق الكبرى، وحماية التجار وتوفير مختلف البضائع حسب قانون العرض والطلب.

وأيا كان مستوى الحضور الديني لمؤسسة الزوايا أو فقهاء القبائل بالبادية/الواحة في حفظ الأوفاق والأعراف، أو تشكيل تحالفات لاستدامة الأمن بين الرحل والمستقرين، فإن مجتمعات هذه المناطق، المطوقة بالصحاري، ظلت تخضع لقوانين وضوابط تقوم على توزيع المهام بين مختلف الشرائح الاجتماعية، وخاصة بين من يملك الأراضي ووسائل الإنتاج، وبين الفئات الدنيا التي تشتغل بالرعي وخدمة الأرض، أو فيما يتعلق بتنظيم المجال حسب ما تمليه شروط التكامل والتعايش لخلق نظام إنتاجي محكم يتميز بالليونة،[2] لمواجهة مختلف الأخطار والمشاكل المحدقة، وضمان الاستقرار واستمراريته، ضمن نسق يرتبط أشد ما يكون الارتباط بطبيعة المجال والظروف المناخية التي تتحكم في الغالب في أمر تنفيذ هذه الشروط من عدمه، نظرا لأدوارها الحاسمة في التأثير على الإنسان الواحي وفي تشكل أنماط حياته.[3] وهو ما يفسر جدلية العلاقة بين المجال والمجتمع، إذ على الرغم من التغيير الملموس في أساليب حياة الناس وتقنيات إنتاجهم، فإن المجال يحتفظ بهياكل تشهد على التأثيرات المتبادلة بين الإنسان وبيئته، لاسيما في مجال هش دائم التغير مثل الواحة، وهو ما يمثل تراكما غنيا يعكس مستويات من التفاعل بين المعطيات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية مع المجال الطبيعي، مما تستعصي معه مقاربة كثير من القضايا من دون اللجوء إلى نصوص مصدرية محلية، عبرت بعمق عن أفراح الناس وأتراحهم وهمومهم ومشاكلهم اليومية، ويتعلق الأمر بالمتن النوازلي.

---

(1) المرجع نفسه، 170.

(2) محمد أيت حمزة، التوازن الإيكولوجي بين التنافس والتكامل، ضمن أعمال ندوة **المجال والمجتمع بالواحات المغربية** (مكناس: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1993)، 77.

(3) جوردن إيست، **الجغرافيا توجه التاريخ**، ترجمة جمال الدين الدناصوري (بيروت: دار الحداثة للطباعة والنشر، 1982)، 173.

وقد حظي الفقيه بمكانة رفيعة في المجتمع الواحي، وظلت مكانته محفوظة في ذاكرة الناس، سواء من خلال الأدوار الاستشارية التي اضطلع بها في الواقع الاجتماعي المعيش، أو بمبادراته الريادية في فض النزاعات اليومية بين الناس، أو بحضوره التنظيمي المحوري الدائم لتوثيق العقود العرفية المعمول بها، وجهوده في تكييف الأعراف مع أحكام الشريعة، لمنحها المشروعية وإعطائها طابعا إلزاميا، وهو ما يميز الفقه النوازلي عن غيره في دراسة مثل هذه المجالات المعزولة التي لا تنالها أحكام المركز/السلطان إلا لماما، لا سيما خلال مراحل ترهل الدول بالمفهوم الخلدوني.

## • التوظيف المنهجي للنوازل في الكتابة التاريخية حول البادية

تتأكد قيمة المشروع العلمي للمحتفى به في كونه جمع بين الاهتمام بمجال الصحراء عموما، والواحات المغاربية خصوصا، مع الاستعمال المكثف لفقه النوازل في دراسته لدينامية المجتمع الواحي، وعلاقات التأثير والتأثر مع المحيطين الطبيعي والبشري، وهو ما يظهر جليا من خلال ثراء دراساته وتنوع إنتاجاته العلمية، التي تفصح عن هذا الربط المبكر للعلاقة بين موضوع النوازل الفقهية والواحة، والتي تعود إلى عقدي الثمانينات والتسعينات، حيث أصدر كتابه: **سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن الهجري**،[1] سنة 1997م، وهو في الأصل رسالة أعدها لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، بجامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس سنة 1989م.[2] ويحفل هذا الكتاب بمعلومات ضافية عن فقه البادية. كما اعتمد مؤرخنا على نوازل ابن الأعمش[3] في مقاربته لموضوع تجارة الملح بالصحراء سنة 1998م، وشارك بمداخلة بعنوان: «الصحراء في كتب النوازل» سنة 2005م،[4] وفي سنة 2012م أسهم بمقالين الأول حول أهمية النوازل في دراسة الصحراء،[5] والثاني قارب فيه مسؤولية الفقيه المفتي في الحفاظ على التوازن بين مطالب الحكام والقدرات المالية للمحكومين،[6] وأبرز أهمية النوازل في دراسة

(1) حسن حافظي علوي، **سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن الهجري** (المحمدية: مطبعة فضالة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1997).

(2) المرجع نفسه، ص8.

(3) حسن حافظي علوي، «تجارة الملح بالصحراء من خلال نوازل ابن الأعمش العلوي الشنقيطي،» **مجلة المناهل**، العدد 58، عدد خاص (مارس، 1998):145-168.

(4) حسن حافظي علوي، «الصحراء في كتب النوازل،» ندوة **الصحراء مجال للتواصل**، الريصاني، (09 أبريل 2005).

(5) حسن حافظي علوي، «أهمية النوازل في إنتاج المعرفة حول صحراء المغرب الأقصى،» **هيسبريس تمودا** (Hespéris Tamuda)، مجلد فريد ( 2012):11-30.

(6) حسن حافظي علوي، «مسؤولية الفقيه في الحفاظ على التوازن بين مطالب الحكام والقدرات المالية للمحكومين: المعونة بين الحكم الشرعي والحكمة،» ضمن أعمال ندوة **السلطة العلمية والسلطة السياسية بالمغرب**، تنسيق حسن حافظي علوي (الرباط: منشورات كلية الآداب بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 170، 2012): 179-208.

المجتمع والثقافة بالواحة في محاضرة ألقاها بالمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية سنة 2007م،[1] وفضلا عن هذا كله، فهو ابن الواحة، خبير بخفاياها، عارف بأسرارها، قادر على تفكيك نصوص وثائقها، وفهم كنه أعرافها.

وتعد الأطروحة التي أعدها لنيل دكتوراه الدولة بعنوان: **واحات بلاد المغرب من القرن 4هـ/10م إلى القرن 8هـ/14م**، في الموسم 2004-2005م، مركز هذه الأعمال وأعلى سنامها، سواء من حيث الموضوع الذي عمّق النظر في موضوع البادية، أو من خلال منهجية العمل، وتنوع محتويات الرصيد المصدري المعتمد، ونخص بالذكر النوازل الفقهية والحيز المعتبر (10 %) الذي شغلته ضمن مختلف المصادر المخطوطة التي تجاوز عددها 168 مصنفا،[2] والمطبوعة التي بلغت ما يربو عن 223 مصدرا[3] (ينظر المبيان أدناه).[4]

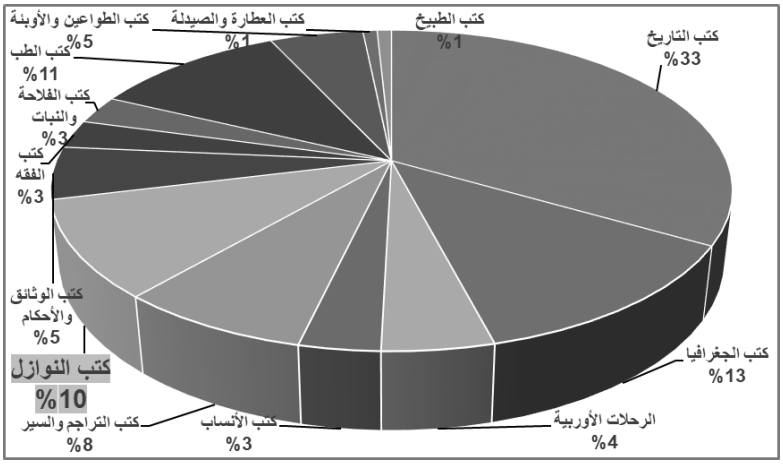


**مبيان: نسبة استعمال كتب النوازل الفقهية ضمن مصادر التاريخ لبلاد القبلة والقفر في «واحات بلاد المغرب»**

وبالموازاة مع هذا، شدد الأستاذ حسن حافظي علوي على الأهمية البالغة التي تكتسيها نوازل البادية بالنسبة للمؤرخ رغم تقليل فقهاء الحواضر من قيمتها ونظرتهم الدونية إليها،

(1) حسن حافظي علوي، **المجتمع والثقافة بالمجال الواحي في المغرب الوسيط** (الرباط: المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية بالرباط، 12 شتنبر 2007).

(2) حافظي علوي، **واحات**، ج. 1، 1134-1141.

(3) المرجع نفسه، ج. 1، 1141-1153.

(4) معطيات المبيان مستقاة من القراءة الإحصائية لمختلف المصادر المخطوطة والمطبوعة التي اشتغل عليها الدكتور حسن حافظي علوي، **واحات**، ج. 1، 5-56 و 1134-1153.

وترغيبهم في صرف الأنظار عنها، وتشديدهم على العيوب التي شابتها،[1] وقولهم بمخالفتها للمشهور في المذهب،[2] وباضطراب نسبتها لمؤلفيها،[3] لأنه «قلما تَواجد بالبادية فحول العلم من الفقهاء، لإيثارهم سكنى الحواضر، ومن تواجد من الفقهاء بها لم يأبه به فقهاء الحواضر، وظل في نظرهم متفقها لا يعتد برأيه، إلا إذا كان ممن له الشفوف عليهم في المعرفة والتحصيل،»[4] فضلا عن استهداف أغلب هذه الفتاوى لفئة العوام ومخاطبتها لهم، «على قدر عقولهم، وعلى حساب أحوالهم،»[5] ومما يزيد من قيمتها ويرفع من مكانتها لدى هذا المؤرخ، أنها تشكل مصدرا نفيسا لا غنى للدارس عنه في الكشف عن واقع الناس بالبادية وعن انشغالاتهم وهمومهم اليومية، ولو كانت لها هذه الميزة وحدها لكفتها، فضلا عن أنها تمكن من التعرف على «ملكية الأرض، وأساليب الري والمزارعة والمغارسة بالبلاد الواحية، والبدل في الأطعمة، وجميع أنواع البيوع، فضلا عن الجوانب المتعلقة بصراع القبائل حول نقط الماء، والغصب والحرابة،»[6] وهذا ما يعكس خصوصية النمط الاقتصادي المحلي، ويكشف عن التكامل بين المنتوجات المحلية وبين التجارة البعيدة المدى في علاقته بالعرض والطلب، ويقلل من هيمنة تأثير البعد الواحد للتجارة القوافلية في تحريك عجلة الاقتصاد الواحي. وهذا ما انتقده المحتفى به في أطروحته جاعلا من المنظور القائل بهيمنة تجارة الذهب السوداني على اقتصاد الواحة مخالفا لطبيعتها القائمة على اقتصاد الزراعة والرعي، ومبرزا أهمية المنتوج المحلي في ازدهار التجارة الصحراوية، وهو ما أكده في كتابه **سجلماسة وإقليمها** الذي اهتم فيه بدراسة مرحلة الانتقال من المدينة التجارية إلى الواحة القائمة على نمط إنتاج زراعي ورعوي، وشدد فيه على أن تجارة الذهب «لا تكفي لتفسير الأسباب الكامنة وراء ازدهار مدينة سجلماسة في العصر الوسيط، لأن إنتاج إقليمها من المواد الفلاحية يحظى في عملية المتاجرة بأولوية خاصة.»[7]

ولئن كان اقتصاد بادية سجلماسة قد تميز بالحركية والفاعلية، وأسهم بنصيب وازن في إنعاش التجارة الصحراوية، فإن الرغبة في السيطرة عليه كانت وراء احتدام الصراع بين مختلف

(1) حافظي علوي، **واحات**، ج37،1.

(2) المهدي الوزاني، **النوازل الجديدة الكبرى فيما لأهل فاس وغيرهم من البدو والقرى المسماة بالمعيار الجديد الجامع المغرب عن فتاوى المتأخرين من علماء المغرب**، ج. 12، قابله وصححه على النسخة الأصلية عمر بن عباد (المحمدية: مطبعة فضالة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، 1998)،327.

(3) حافظي علوي، **واحات**، ج1، 37.

(4) المرجع نفسه.

(5) الوزاني ، **النوازل**، ج 12، 327.

(6) حافظي علوي، **واحات**، ج1، 38.

(7) حافظي علوي، **سجلماسة**، 9.

الفاعلين ونشوب مشاكل عديدة على الصعيد المحلي، أبرزها نزاعات توزيع المياه وتقسيم الحصص وضبط تقنيات الري، مما استدعى الاحتكام إلى الأعراف والقضاء والفتيا من أجل تجاوز هذه النزاعات أو حلحلتها، وهذا ما يفسر الأولوية التي اكتستها كتب النوازل لدى المحتفى به من أجل إغناء المعرفة التاريخية، لما لها من «علاقة مباشرة بموضوع الدراسة.»[1] وفي هذا السياق يندرج إصدار المحتفى به لكتاب **دراسات صحراوية: الماء والإبل والتجارة**،»[2] سنة 2014م لإبراز الأهمية التي تحظى بها فتاوى فقهاء تراب البيضان وبلاد السودان في إنتاج العرفة حول الصحراء وأهلها.

والواقع أن المتون النوازلية المشهورة بالغرب الإسلامي قد شكلت مصدرا للمعرفة التاريخية، وأنها لا تقل من حيث الأهمية عن غيرها من المصادر الدفينة بتعبير العلامة محمد المنوني، مع احتفاظها بطابعها الفقهي، الذي يختزل المنظور الشرعي للفقيه حول قضايا محيطه، ومدى رسوخه وقدرته على تكييف الوقائع مع مراد الشارع، وإن اعتورت هذه المتون بعض الصعوبات لعل أبرزها إشكالية التوطين الزماني والمكاني للنازلة،[3] فضلا عن المقاربة المنهجية لمسألة الحدود الفاصلة بين الفقه والتاريخ داخلها. ويعدّ الوعي بهذه المسألة شرطًا أساسيًّا في التعامل مع هذا النوع من المصادر،[4] لاسيما نوازل البادية، التي تستوجب إلمام الباحث بطبيعة سلوك الناس بهذا المجال المهمش، ومعرفة ظروفهم ومشاكلهم، لتقليص الهوة بينه وبين السياق التاريخي والفقهي للنازلة، وتيسير فهم لغتها،[5] واستيعاب حيثياتها كما وقعت فعلا لا افتراضا، وفق ما هو معمول به في الفقه المالكي.

ولتعزيز الثقة بما جاء في المتن النوازلي البدوي، نسبة إلى البادية، مثل نوازل إبراهيم بن هلال السجلماسي (ت 903هـ/1497م)، ونوازل محمد بن ناصر الدرعي (ت 1085هـ/1674م) المعروفة بأجوبة البادية، ونوازل محمد بن المختار بن الأعمش العلوي الشنقيطي (ت 1107هـ/1695م) وغيرها، اتبع المحتفى به مسلكا منهجيا يجمع بين تقصي المعلومات في هذه المتون، وإعادة بنائها اعتمادا على مصادر أخرى من «الفتاوى المعتمدة التي يعتد بها في

(1) المرجع نفسه، 19.

(2) حافظي علوي، **دراسات**، 13-15.

(3) أحمد التوفيق، **المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (اينولتان 1850-1912)** (الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2011)، 39.

(4) استيتو محمد، «النوازل وطبيعة مصادرها وحدود توظيفها في الكتابة التاريخية،» **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، وجدة**، رقم 7، العدد الخامس (1995): 127.

(5) قد يطغى على اللغة المستعملة في نوازل العوام استخدام بعض الألفاظ العامية، مما يتطلب معرفة بالمجال وقضاياه. بنميرة، **النوازل**، 52.

الفتوى والأحكام»[1] بالغرب الإسلامي، وفي مقدمتها المدونات النوازلية الكبرى المشهورة، لاسيما فتاوى ابن رشد الجد (ت 520هـ/1126م)، ونوازل ابن الحاج الشهيد (ت 529هـ/1135م)، و**الدرر المكْنونة في نوازل مازونة** للمازوني (ت 883هـ/ 1478م)، و**جامع مسائل الأحكام** للبرزلي (ت 841هـ/1438م)، وما جمعه الونشريسي (ت 914هـ/ 1508م) في **المعيار المعرب** وغير ذلك من كتب النوازل المتداولة.

## خاتـمـة

اقتصرنا في هذا البحث على زاوية من زوايا اهتمامات الدكتور حسن حافظي علوي المتنوعة المواضيع والقضايا، وركزنا أساسا على موضوع رسالته لنيل دبلوم الدراسات العليا، وأطروحته لنيل دكتوراه الدولة، وشددنا على العناية التي أولاها لنوازل البادية بما توفره من معلومات فريدة، وما لها من قيمة علمية في إنتاج المعرفة التاريخية حول المجتمع الواحي والصحراوي بالبلدان المغاربية عامة وواحات سجلماسة على وجه الخصوص. ونظرا لما تميزت به مؤلفات هذا المؤرخ من نجاعة في الرؤية وحكامة في التدبير وعمق في التحليل، فإن مختلف الأعمال التي أصدرها حتى الآن قد جعلت منه مؤرخ البادية بامتياز. وبناء عليه، فإن من شأن استثمار النتائج التي توصل إليها أن يسهم في إغناء مقاربة قضايا التراث والتنمية الثقافية والترابية بالمجلات الواحية وبالبادية المغربية عموما، وأن يفيد في اتخاذ القرارات الكفيلة بتحقيق التنمية المستدامة بهذه المناطق، وفي تطوير الأنشطة الاقتصادية في علاقتها بخصوصية المجال.

(1) حافظي علوي، **واحات**، ج1، 40.